

AL-AẒVĀ الاضواء
ISSN 2415-0444 ;E 1995-7904
Volume 51, Issue, 34, 2019
Published by Sheikh Zayed Islamic Centre,
University of the Punjab, Lahore, 54590 Pakistan

الإسلام دين الأمن والسلام

Islam: A Religion of Peace

الحافظ زاهد علي*

Abstract:
The status of peace in Islam highlights from its name as the word Islam as a verb is derived from the infinitive Arabic trilateral root of "silm". Peace is regarded among basic and supreme objectives of Sharī'ah. This article intends to show evidence from religious sources that assert that Islam is not a religion that endorses terrorism but one that emphasizes peace and salvation. And even in the battlefields where usually rule of *"no mercy"* is regarded, Muslims are strictly prohibited to fight those who put their weapons down. Strict Punishment for Hirābah (unlawful warfare and banditry) has been fixed for those who are found involved in Highway robberies with grand larceny and disturb the internal security matters. By these Injunctions, it can easily be concluded that Islam deserves to be labeled as religion of peace.

Key Words: Islam, Global Peace, Post 9/11 Narratives

إن الأمن حاجة أساسية لكل مجتمع وهي مما يحاول لتحقيقها الجميع، إذ به تتحقق رفاهية الفرد ويعم الخير جميع أفراده ويرتقى به المجتمع إلى طبقة الدول المتحضرة، ولا شك أن رفاهية العيش عند كل قوم بمستوى الأمن وسعة الرزق، فهما نعمتان عظيمتان. لذلك منّ الله سبحانه وتعالى على قريش بهاتين النعمتين، أنه –جل وعلا– الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. ثم قدم في الذكر نعمة الأمن في دعاء الخليل عليه السلام حيث دعا لبلدة مكة أن يجعلها الله آمنا ومأمونا ثم دعا بسعة الرزق، وهذا يعني أن نعمة الأمن أعظم من نعمة الرزق. لذا نرى أن الإسلام قد بالغ في الاهتمام به ونوه عنه في تشريعاته. لقدجاءت النصوص من الكتاب والسنة المطهرة تؤكده وتحث عليه وتأمر به، تأمل قوله تعالىٰ:﴿الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَلَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أوْلٰئِکَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُّهتَدُوْنَ﴾[1] أی لم يخلطوا إيمانهم بشرک أولئک لهم الأمن الكامل في الدنيا ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون۔[2]

إن من تأمل في القرآن والسنة النبوية–على صاحبها الصلاة والتسليم– يجد للأمن أهمية كبرى وشأنا عظيمًا في الدين، به يتعلق صلاح الدارين، ومنفعة الفرد والملة، وقال جل وعلا:﴿وَإِذَا تَوَلّٰى سَعٰى فِيْ الأرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهلِکَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[3]إن من لا هم له إلا إهلاک الحرث والنسل بالقتل

*الأستاذ المساعد، الكلية الحكومية،شاهدره، لاهور، باكستان

والأسر أو بالإضلال المفضي إلى القتل والأسر يعتبر جريمة في حق عامة الناس فالأمن دعامة أساسية، ومبدأ عظيم تدور حوله الحياة البشرية، وركيزة كبرى يرتكز عليها ابتكار ومنحة الإنسانية ومقصد جليل، يتطلع لتحقيقه الأفراد والجماعات، وتسعى لتوفيره الدول والحكومات، ويرتبط مايطمح إليه المجتمع من ارتقاء وازدهار، قدر ما يتحقق في جوانبه من الأمن والسلام، ويتعطش المجتمع للسلم كلما دارت المآسي والنكبات، وحلت بأرجاءه المشاكل والاضطرابات.

والمجتمع المسلم ينفرد عن غيره من المجتمعات بتشريعاته الفريدة، في تحقيق الأمن وتنظيمه، التي يستقيها من عقيدته الصافية، ويستمدها من جوهر شريعته الغراء السامية فوحدته قوية، ورابطته وثيقة، عمت أفراده على اختلاف الألوان وتعدد الأجناس، وتفاوت المستويات، وإذاجئنا إلى الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدها تجسد مبدأ الأمن.-(4)

ولذا لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا بدأ به فقال صلى الله عليه وسلم مقالته المشهورة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"(5)

وختم صلى الله عليه وسلم حياته الكريمة بترسيخ هذا المبدأ فقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمام الناس يسمعها الحاضر ويبلغها الغائب: "لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" (6)

قضى النبي صلى الله عليه وسلم على كل أمر يعارض الأمن والعافية، و نبه الأمة على مسئولية حقوق العباد يوم القيامة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفک دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم وفطرحت عليه ثم طرح في النار." (7)

المفسد في الأرض من أبغض الناس إلى الله عز وجل ولا يستحق رحمته.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه" (8)

لا يجوز في الإسلام الإشارة بالسلاح إلى المسلم فكيف يجوز إيذاءه أو قتله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" (9)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء." (10)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا" (11)

من يصيب دما حراما لايكون إيمانه وعمله مقبولا عند الله ولايكون في دين الله من شيء.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حرام" (12)

أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان والعافية للناس كلهم ولكن عنى عنايته الخاصة للنساء والصبيان وجعلهم من أهم الناس أمنا وسلاما.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن امرأة وجدت في بعض مغازى النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان-(13) المعاهد مأمون في الرياسة الإسلامية ولايجوز الظلم عليه ولاالغصب من حقوقه وقتله أعظم جريمة عند الله.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما" (14)

ولم يكتف الإسلام في تشريعاته على الأمر به والحث عليه، بل إنه أوجب عقوبات زاجرة لمن يخل به، خذ مثلا قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَه وَيَسْعَوْنَ فِيْ الأَرْضِ فَسَادًا أن يُّقَتَّلُوْا أَوْ يُصَلَّبُوْا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذٰلِکَ لَهُمْ خِزْيٌ فِيْ الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِيْ الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ (15)

وفي هذا أبلغ الأثر في الزجر والتوبيخ لأن إثبات العقوبات في الشريعة الإسلامية لمن ينهتک الأمن يعتبر حماية من وقوع الفوضى والاختلال في المجتمع فالأمن بكل جوانبه عملية هامة لابد لتحقيقها من تضافر المساعي والجهود، فالمسؤولية تتجه إلى الجميع؛ البيت والعائلة والمسجد والمكتب والجامعة، وكذلك المؤسسات القضائية والسياسية مسؤلة عنها؛ حيث يعد الأمن ركيزة هامة لدور الحياة البشرية، تحيط جوهريتها بجميع أفراد المجتمع من مرحلة الولادة حتى الكهولة.

فالأمن من أعظم نعم الله عزوجل لا تقدر بثمن مهما كان، والحصول عليها من أهم الأهداف لإقامة الدين، وذلل لأن مقاصد الشرع الإسلامي الحفاظ على ضرويات البشر الأساسية وهي خمسة: النفس، والدين، والعقل، والعرض، والمال، فإذا تمكن الإنسان من حفظ هذه الضروريات الخمس فإنه أصاب أعلى هدف، ونال أكبر غاية يتمنى الفرد في الدنيا وهو الأمن بتمام محاوره، كأن الشريعة الإسلامية عبارة عن الأصول والأحكام التي تكفل أمن العالم. واستقرار الحالة الأمنية في الحياة تنتج الحب والوفاء، والصداقة والولاء بين الأفراد والشعوب ورعاية حقوق الآخرين وحسن التعامل مع الأقليات في المجتمات المسلمة وإعطائهم كافة حقوقهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

لقد أضحى مصطلحا '' الأمن '' و ''السلام '' في السنوات الأخيرة خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م حديث الصحافة الغربية بكل مكوناتها - حيث يحلو لبعض الكتاب والصحفيين الغربيين ربط قضية الأمن والسلام بالإسلام متهمين ديننا الحنيف بكونه يدعو إلى القتال و إلى العنف والإرهاب ، و لقد

أصبح الترويع بالإسلام أمرا ما انفكت وسائل الأعلام الغربية توظفه من أجل تجييش مشاعر الغربيين وحملهم على كراهية هذا الدين و أتباعه وكل ما ينبثق عنه -

لقد ورد مصطلح '' الأمن '' في القرآن الكريم في آيات متعددة كلها دعوة صريحة إلى العمل لأجل استقرار السلم و تحصيل الأمن و نشر معالم التعاضد والايتلاف - والدين الإسلامي لا يقف عند غاية إقامة الاجراءات الكفيلة بتنفيذ الأمن فحسب كما هو السائد في المنظمات الحديثة- بل إنه مع ذلك الاهتمام يربي في نفوس الأفراد النوى الصالحة والعواطف الحسنة والرغبة القوية والطوعية إلى إقامة البيئة الأمنية وتشكيل الجو السلمي، وزرع بذور التآلف والانسجام-

يتجلى تسامح الإسلام مع اتباع الديانات والجمعيات الأخرى المخالفة في تعبير السلم عن معنى التصالح والسلام ونقيض الحرب ، وقد ورد لفظ '' السلم '' بمشتقاته في عدة أماكن من القرآن الكريم ، مع ويلاحظ هنا أن الله أمر العباد بأن يدخلوا في السلم كافة ونهى في نفس السياق عن اتباع خطوات الشيطان وهذا يعني أن عكس السلم من إيعاز الشيطان و كقوله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾[16] أي : وإن مالوا إلى السلم عن رغبة صادقة-

ولمزيد الوضوح في معرفة صلة الإسلام بالسلام ينبغي الإشارة هنا إلى أن كلمة '' الإسلام '' نفسها مشتقة من كلمة السلم أو السلام، الذي يراد به المطاوعة والاستسلام لله تعالى ، وهذه المطاوعة تهدي إلى الجنة التي تسمى بدار السلام ﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [17]أي: دار الأمن والقرار-كأن ارتحال المسلم في طريق السلام إلى دار السلام. والسلام هو مبدأ السفر وهو المنتهى والمقصود.

إن الإسلام يدعو إلى إشاعة الكلمة الطيبة بين الناس ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[18] و ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[19]وهو يدفع إلى إفشاء السلام في كل مكان و لكل إنسان على معرفة أو على غير معرفة تاليفا للقلوب و إشاعة للأمن والسلام ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الإسلام أفضل ؟ قال : "تطعم الطعام و تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"[20]

و عندما نكون مطالبين نحن المسلمين - بتبادل تحية السلام فيما بيننا و إفشائها فذلك أكبر دليل على أنه لا مكان للعنف والخشونة والكراهية بين المسلمين - فإفشاء السلام ينتج عنه إشاعة المحبة والوئام ونفي كل مظاهر الصراع والاعتداء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشو السلام بينكم"[21]

فإفشاء السلام يعني السلام والأمن والأمان ، بل إن الإسلام يسمو باتباعه إلى أكثر من ذلك ، فهو يدعوهم إلى مقابلة السيئة بالحسنة ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[22]

والإسلام إذ يدعو إلى هذه التكاليف والتعاليم السامية يرفع نفوس المسلمين ويطلق طاقاتهم الكامنة في مجال الإنسانية لا في مجال الفردية، وبذلك يوفر للفرد كما يوفر للمجتمع أمنه وسلامته، على أن هذا الأمن مرتبط حسب المنهج القرآني بالأسباب التي يتحكم فيها الإنسان و يساهم في مباشرته لها - ولذلك جاء القرآن الكريم صريحا في تفسير وقوع الخوف وعدم الأمن بمسؤولية الإنسان نفسه فيما يقع من الأحداث ، فقال

تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[23]

إن الإسلام لا يمكن إقراره في جماعة لا يتوفر فيها الأمن العام ولا السلامة لجميع أفراد المجتمع. وتحقيق هذا منوط بتوفير بعض الضمانات التي فرضها الله تعالى للناس جميعا ، و أبرزها ضمانة الحياة حيث قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[24]

وكل نفس كيفما كانت لها هذا الحق المطلق ، ولا شك أن هذه الآية كافية لوحدها لأنها تكون أوضح دليل للرد على الغربيين فيما يفتئنون به على ديننا من أنه يدعو إلى العنف والإرهاب وقد أكدت آيات أخرى كثيرة على تقرير مبدإ السلام الذي يعد ثمرة طبيعية لمبدإ الوحدة الإنسانية ، فقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾[25]

وقال سبحانه : ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[26] و قد جاء ت لفظة السلام ومشتقاتها في أكثر من مائة و أربعين آية-

إن فكرة الأمن والسلام فكرة أصلية متجذرة في أعماق التاريخ الإسلامي ، وهي تتصل اتصالا وثيقا بطبيعته وفكرته العميقة عن الكون والحياة والإنسان ، وهكذا يصبح السلام هو القاعدة الدائمة ، والحرب هي الاستثناء الذي تقتضيه الضرورة من بغي وظلم و فساد و اختلال في موازين طبيعة الحياة كما أقرها التشريع الإلهي- غير أنه إذا كانت مقولة الخطر الإسلامي أو الإرهاب الإسلامي لا تزال تعشعش داخل أذهان الغربيين فإن كثيرا من عقلائهم و منهم بعض الزعماء السياسيين قد أضحوا يعترفون في الآونة والأخير بأن الإسلام بعيد كل البعد عن جميع أشكال العنف والتطرف والإرهاب وأنه دين السلام-

إن الأمة التي يسرى فيها روح السلام هي التي يمكننا أن نسميها بالأمة المؤمنة التي يأمن الناس جانبها ويطمئنون إلى التعاون معها على دفع الظالم وإنقاذ البشرية من الهاوية التي تسعى إليها-

وهذا الأمن والسلام هو الشرط الأول لتحقيق الأخوة الإنسانية التي تجعل الجميع يؤمنون بأنهم خلقوا من أب واحد وأم واحدة - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[27]

ومما لا شك فيه أن تحقق السلام في عالمنا المعاصر يشترط سلامة المجتمع الدولي الإنساني من الاستبداد وحب الهيمنة وإرادة الشر وتحكيم الهوى-وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك سلام حيث هناك احتلال و اغتصاب للأرض ، ولا يكون هناك سلام حيث هناك تقديم شعوب على حساب تخلف شعوب أخرى-

إن ما يجري في الأراضي المحتلة لا يقره أي دين من الأديان وإذا كان اضطهاد النازية لليهودية يعتبر جريمة بشعة في تاريخ الإنسانية، فإن الصهيونية قد ورثت هذا المنهج السلبي العنفي، و لقد آن الأوان لكي تستيقظ أمة السلام من سباتها من أجل أن تنقذ البشرية جمعاء بالعمل الجيد من أجل محاربة كل الشرور و أعمال العنف غير المشروعة في العالم-

إن الإسلام كدين للسلام ما فتئ يوفر للفرد ضمانات أمنه و سلامته في حياته الجماعية ، و تتجلى في روحه معان متعددة من السماحة الإنسانية والدعوة إلى السلام العالمي ، وهي مبذولة للمجموعة البشرية

جميعها لا لجنس فيها أو لاتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنسانا، وما الحقوق الأمنية التي يوفرها لأهل الذمة الذين يجدون داخل المجتمعات الإسلامية و يتعايشون في إطارها مع المسلمين إلا أكبر دليل على مدى احتفاء الإسلام بقضية الأمن واهتمام بها تجاه أتباع الديانات الأخرى من أهل الكتاب-

وروح الإسلام السمحة و دعوته السلمية هي التي تمكن من إشاعة الود و التراحم والتآلف بين بني البشر ، و تدعو إلى تحقيق الأمن بكل أشكاله و إقرار السلام بجميع أبعاده-

وإن المتامل في الدعوة القرآنية إلى السلم يجدها في الواقع تؤول إلى أسباب كثيرة كلها نبذ لمنطق القوة السلبية ومنهج الشدة و إقصاء الآخر ، ونشير منها إلى ثلاثة:

أولا: إنه يقوم على التعارف والتعاضد ، والقرآن الكريم يؤسس لمبدأ التعارف بين الناس؛ الأمم والحضارات ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[28]

فالتنوع بين الناس و امتدادهم و تكاثرهم على مناطق الأرض لا يعني أن يتفرقوا أو تتقطع أواصرهم كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادموا و يتنازعوا و يلجأوا إلى استخدام الشدة والعنف للتحكم لأجل المال والسلطة وإنما ليتعارفوا، فالتعارف له دور كبير في الحيلولة دون وقوع الحوادث العنيفة والنزاعات وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح جلسات التفاهم ولقاءات الحوار-

إن الأساس القرآني في الدعوة إلى التعارف هو أساس حضاري جليل يهدف إلى إزالة سبل التفكير في استعمال الشدة أو التعدي على حقوق الغير - فهو يقرب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتقارب-

ثانيا : إنه يدعو إلى الحوار الذي يسعى إلى مبادلة الآراء وإبداء وجهة نظر خاصة والإقناع بها في حل جميع المشكلات، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[29]

ثالثا : إنه يطرح التعصب والحساسية لرأي خاص، الذي هو أساس التطرفية والعنصرية في مجتمع، أيا كان هو، لأن التعصب للراي تعصبا لا يعترف معه بوجود أي فريق آخر وجحود الفرد على رأيه وفهمه جحودا لا يسمح له برؤية المصالح وتبين المقاصد والفقه المعاصر ،كل ذلک يجعل صاحبه نائيا عن بيئة المسالمة والمحاورة، و يزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة ، وهذه العصا ليست حديدية ولا خشبية، فهناک اتهامات بالتبديع والتكفير وفتاوى الاستهتار بالدين والمروق– ونعوذ بالله– فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفا وتهديدا من الإرهاب الحسي.

لاشک أن الدين الإسلامي في الواقع منهج متكامل ودستور متتام، ينظم صلة الفرد بربه وصلة الفرد بالكون وعلاقة الفرد بالآخرين، تشيد أساس بنيته العقيدة وتعتني الشريعة بالتنظيم على مختلف المستويات، يطبع كل ذلک مبدأ الوسطية كتوازن ذاتي وسلوكي يتولد من توازن السنن، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[30]

ووسطية الإسلام تعادل ومرونة، يقابل من وجه بالعنف والتشدد، ومن وجه آخر بالإباحية والانحلال، وكلا الطرفين مستنكر في الإسلام، والصفة التي اتصفت بها الأمة في الآية الكريمة، أي: كونها وسطا معناه عدلا، وصرح المفسرون بأن معنى كلمة وسط في الآية الكريمة العدل، وتفسير كلمة "وسط" بالعدل ليس من قبيل تفيسر الرأي بل إنه مأثور ومنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري: "أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط هنا بالعدل"[31]

والعدل بين الطرفين المتنازعين دون ميل أو تحيز إلى أحدهما، وهو بالتالي ضد التطرف والمغالاة-

والوسطية تعني أيضا الاستقامة أي استقامة المنهج والوقاية عن الميل والانحراف، وما كان سالكا ﴿الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ لايميل ولاينحرف، ولذلک وردت صفة الصراط المستقيم في سورة الفاتحة ﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ كموقف وسط بين تطرفين، تطرف المغضوب عليهم الذين هم اليهود وتطرف الضالين الذين هم النصارى- لأن اليهود مالوا عن الصراط المستقيم بأفعالهم الشنيعة كقتل النبيين والإفراط في التحريم والنصارى ضلوا عن السبيل الحق المستقيم بتأليه النبيين والإفراط في الإباحة-

من جانب آخر نجد أن الوسطية الإسلامية تتلائم مع الفطرة البشرية التي تطرح المغالاة والمبالغة والمجاوزة عن حد الاعتدال في كل أمر، فلا إعنات ولا مشقة ولا إحراج في تعاليم الإسلام وأحكامه، كلها سواء منها أحكام العقائد والعبادات والمعاملات ونظام الأسرة وجميع التكاليف الشرعية- يقول الإمام الشاطبي: "إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع واليقين وقد سمى الله هذا الدين الحنيفية السمحة لما فيه من التسهيل والتيسير"(32)

إنها وسطية ترتكز على ما يلائم الطبيعة الإنسانية حسيا وعقليا، فالإسلام ليس دينا يضغط على نفس الفرد ويكلفها ما لاتطيق، وهو لايقاوم الإفراط في الماديات بالإفراط فيما يتعلق القلب والروح وإنما جاء ليقوم بالاعتدال بين فطرة الإنسان والتكاليف التشريعية، وهذا هو معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذوا من الأعمال ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا" (33)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الأمور أوسطها" (34)

والخلاصة أن تعهد الفرد المؤمن بالوسطية الدينية هو وقوفه مع الاعتدال وإيثاره للإحسان من غير تخاذل أو ذل أو مداهنة، وهذا ما تفرضه طبيعة التعايش البشري فتجعل من أوكد شروطه تعزيز جو الحوار بدل العداء والدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة بدل العنف والقمع(35)

وأخيرا فليعلم كل من يتهم الإسلام بأنه ضد الأمن والسلام أو أنه دين العنف والإرهاب أن روح هذا الدين السمحة و دعوته السامية إلى السلم الطوعي هي التي اجتذبت وتجتذب دوما افواجا من الناس إلى الإسلام ، و هذه الروح هي التي يسرت له سبل الانسياح والانتشار في الأرض بتلك السرعة العجيبة المذهلة ، حيث يفزع إليه الناس من أصحاب الديانات الأخرى مستظلين تحته بظلال السماحة والأمن والسلام-

الهوامش

1 الأنعام:٨٢

2 أبو السعود، أحمد محمد كامل، التفسير الفريد للقرآن المجيد ١١/٨٨٠، دار الكامل، دمشق.

3 البقرة:205

4 تفسير القرآن للعز بن عبد السلام، 204/1، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1414هـ.

5 صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم الحديث:3331، دارالكتب العلمية، بيروت.

6 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم الحديث:١١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

7 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث:2581

8 صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من طلب دم المرء بغير حق، رقم الحديث:6882

9 صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا...الخ، رقم الحديث:7072، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم الحديث:2617

10 صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المرور في المسجد، رقم الحديث:452، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب أمر من مر بسلاح، رقم الحديث:2615

11 صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا...الخ، رقم الحديث:٧٠٧٠، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا...الخ، رقم الحديث:٩٨

12 صحيح البخاري، كتاب الديات، باب، رقم الحديث:6862

13 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، رقم الحديث:3014، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، رقم الحديث:1744

14 صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث:3166، سنن النسائى، كتاب القسامة، باب تعظيم قتل المعاهد، رقم الحديث:6926

15 المائدة:33

16 الأنفال:61

17 يونس:25

18 الإسراء:53

19 البقرة:83

20 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم الحديث:12، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام، رقم الحديث:39

21 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم الحديث:54

22 فصلت:34

23 النحل:١١٢

24 الأنعام:151

25 الأنفال:61

26 النساء:90

27 الحجرات:١٣

28 الحجرات:١٣

29 النحل:125

30 البقرة:143

31 صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وكذلک جعلناكم أمة وسطا﴾، رقم الحديث:4487

32 الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، 240/1، دار ابن عفان، بيروت.

33 صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم الحديث:5861

34 الحداد، محمود بن محمود، أبو عبد الله، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي،رقم الحديث:٣٠٧٢، دار العاصمة، بيروت.

35 مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي،5-6-7 شعبان 1414هـ، ص 364، طبع وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٩٠م.